ندوة الترجمة ٢٠٢٥م

«الترجمة في التِّقانات الحديثة»

أعدَّها وقدَّم لها:

د. باسل المسالمة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٦م

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراءُ المؤلِّفِ ومواقِفُهُ ولا تعبِّر **(بالضرورةِ)** عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.

نحن والترجمة في عصر التقانات

أ. د. عبد النبي اصطيف

ربما يحسن بالمرء، في مفتتح هذا البحث الموجز، أن يحدد المفردات والمفاهيم التي ينطوي عليها عنوانه. فأما المقصود بضمير جمع المتكلمين، نحن، فهم **"العرب"**، وبالتحديد **الناطقون بالعربية**، بصرف النظر عن أعراقهم أو إثنياتهم، أو انتشارهم الجغرافي، بوصفهم أمة لم يبق ما يجمعها غير لغتها[1] **(**وثقافتها المدوّنة بها**)**، وهنا تكمن أهمية هذه اللغة للعرب في هذه الفترة العصيبة من تاريخهم، إذ يتكالب عليها أعداؤها كتكالب الذئاب على فريستها.

وتفضيل المرء لمصطلح **"العرب"** على غيره من مثل مصطلح **"الوطن العربي"**، الذي يرد في معظم كتابات القوميين العرب، مرده أن هذا المصطلح الأخير بات اليوم مصطلحاً يخضع لـمُساءلة شديدة من جانب واقعِ ما يشير إليه من كيانات قطرية، فقد **أصبح الوطن أوطاناً** بعدد الدول الأعضاء في **جامعة الدول العربية**، والعربي المعاصر بات يحدِّد هويته بالانتساب إلى واحدة من هذه الدول. وإذا كانت كلمة **"الوطن"** تشي عادة بالطمأنينة إلى المكان الذي يولد فيه المرء، والذي يحن إليه دائماً، ويمكنه العودة إليه، مهما طال ابتعاده عنه، حِضناً يقيه متاعب الاغتراب ومشاقّه ومعاناته، فإن هذا الوطن غدا، بالنسبة لبعض المغتربين

---

(١) انظر:

Dwight F. Reynolds, "Modern Arab culture: introductory remarks", in:

Dwight F. Reynolds (Editor), ***The Cambridge Companion to Modern Arab Culture*** (Cambridge University Press, Cambridge, 2015).

العرب، في هذه الأيام فسحة محرَّمة عليه، وحتى على أبنائه أو أحفاده، بل إن المرء المنفي بات يُهدَّد أحياناً بسحب جنسيته منه إذا ما أغضب أصحاب الحل والعقد في وطنه.

وأما تفضيله له على مصطلح واسع الانتشار أيضاً في الأوساط السياسية والإعلامية هو **"العالم العربي"** (The Arab World) فلأنه مصطلح **أطلقه الغرب على المنطقة التي تضم الجزء العربي من الشرق الأوسط ودول شمالي إفريقية.** ومُسوِّغه في ذلك أن ثمة عاملاً يوحد أجزاءه هو اللغة المعيارية العربية الحديثة (Standard Modern Arabic)، والثقافة المدوّنة بها، والتي تستند في مرجعيتها إلى أنموذجها الأسمى الذي هو ***القرآن الكريم.*** هذا على الرغم من وجود لهجات محلية تُفصح عن محلِّية المكان والسكان، وهويتهم التي تميزهم من غيرهم من سكان المحليات الأخرى المنتشرة في هذا العالم الممتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي شرقاً، ومن سفوح جبال طوروس والبحر المتوسط شمالاً إلى شواطئ المحيط الهندي وبحر العرب والصحراء الإفريقية الكبرى جنوباً. علماً أن كلمة **"العالَم"** في اللغتين الإنكليزية والفرنسية لا تُستعمَل في الإشارة إلى أي عالَم سوى **"العالم العربي"**، أو **"العالَم الثالث"**، أو **"العالم الإسلامي"**، وما الذي يجمع دول هذا العالَمين الأخيرين سوى أنهما لا ينتميان إلى الغرب المتقدم، أو دول المعسكر الاشتراكي الذي انفرط عقده بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

وأما المقصود بمصطلح **"الترجمة"** فهو **نقل نص/أو نصوص من ثقافة مصدر إلى ثقافة هدف، وتوطينه أو توطينها في هذه الثقافة الهدف التي هي الثقافة العربية، في أداتها التي هي اللغة العربية.** وهذا الفهم للترجمة مهم جدًّا لكونه يقي هذا العمل الخطير في حياتنا المعاصرة من نظرة الاستخفاف التي نتعامل بها مع الترجمة، لأن الحاضنة الثقافية لأي عمل إنساني هي الضمانة الوحيدة لوضعه في سياقه الصحيح، وهي الحصن الذي يحمي العمل المترجَم من أن يفضي إلى سوء الفهم والخلاف بين المجتمعات الإنسانية (مثال إدوارد سعيد وترجمة مقالاته في

صحيفة ***الحياة****، وما رافق بعضها من سوء الفهم بسبب ضعف الترجمة الذي أصابها في مقتل*)**.**

والمقصود بعصر التقانات هو **"عصر التكنولوجيا"** الذي يُشبه في سرعة تقدمه **تدفّق مياه النهر في فصل الربيع** تدفقاً يجعل الأمم الحية تلهث للحاق بركب آخر الإنجازات التي حققها ويحققها، التي يحاول العرب اللحاق بركب استهلاكها دون إنتاجها، أو حتى التفكير فيه**.**

وهذا يحيل المرء على **"دور التقانات في عملية الترجمة"**، بما في ذلك**:**

- الترجمة الآلية من خلال (Google Translate) وغيره**.**
- والذكاء الاصطناعي ودوره في عملية الترجمة، الذي كشفت سماعة شركة آبل عنه مؤخّراً (Apple's New AirPods Pro 3)**.**
- دور العامل الإنساني في عملية الترجمة، وإسهامه في تعزيز التفاهم بين الأفراد والمجتمعات والثقافات**.**

ولا بأس في هذا المقام من الحديث على نحو برقي عن سماعة آبل التي وصفها بريان تشين (Brian Chen) في مقالته في «نيويورك تايمز» بأنها إنجاز أساسي قدّمه الذكاء الصناعي**.**

(Apple's New AirPods Pro 3 Can Translate Languages in Your Ears. is Profound This accomplishment).

يتحدّث بريان تشين في مقاله الذي نُشر في صحيفة «نيويورك تايمز» (العدد ١٨ أيلول ٢٠٢٥) عن صديق قديم حدّثه على نحو مطوّل بالإسبانية، وهي لغة لم يتعلّمها قط، غير أنه تابع كل كلمة في حديثه لأنه كان يستعمل سماعة جديدة عرضتها شركة آبل في يوم الجمعة من ذلك الأسبوع هي (Air Pods Pro3)، وثمنها ٢٥٠ **$**، استخدمت الذكاء الاصطناعي للقيام بترجمة واقعية حية للنص الذي كان كاتب المقال يصغي إليه**.** فقد قام مساعد آبل الافتراضي سيري (Siri)

بوظيفة المترجم الفوري الذي تحدّث لصاحبنا بصوت ثابت ناقلاً الإسبانية إلى الإنكليزية. وقد قام كاتب المقال بتدقيق النص الذي سمعه بمقارنته بالنص المكتوب الذي يسره له جهاز **آي فون** الخاص به، وتبين له صحة الترجمة ودقتها خلا استعمال سيري لضميري **هو وهي**. ومن الجدير بالذكر أن المتاح من اللغات التي يمكن أن تترجمها السماعة على جهاز آبل هي **الإنكليزية البريطانية والأمريكية، والفرنسية، والألمانية، والبرتغالية (البرازيلية) والإسبانية (في إسبانية)**؛ أما اللغات التي ستكون متاحة قبل نهاية هذا العام فهي **الماندرين (المبسطة والتقليدية)، واليابانية، والكورية، والإيطالية**. وأما **العربية** فهي على لغة من ينتظر حتى الآن، وهو أمر لن يسعد طلبتنا.

ومن الفوائد العملية لهذا التطبيق التي أشار إلى بعضها تشين:

- مساعدة أولاد المهاجرين على التواصل فيما بينهم، وعلى تجاوز عائق اختلاف اللغة.
- تسهيل التعامل مع الفنيين الأجانب الذين يُتعاقد معهم، وتيسير عملية شرحهم لما يريدونه بلغتهم الأم.
- تسهيل فهم الطلبة الأجانب للمحاضرات في السنوات الأولى لدراستهم في بلد غير بلدهم الأم.
- تنشيط السياحة وتنمية مخرجاتها الاقتصادية والمعرفية والاجتماعية في العالم.

وواقع الحال أن العرب بحاجة ماسة إلى **المعرفة التقنية المتقدمة** حتى يوظفوا التقانات المتاحة في عصرنا في مختلف وجوه حياتهم بما في ذلك الترجمة؛ وهم بحاجة إلى **معرفة اللغات التي يترجمون منها** إلى العربية؛ وهم أخيراً بحاجة إلى **معرفة الثقافات التي تحتضن تلك اللغات**، بغرض تدقيق ما ينقلونه والاطمئنان إلى سلامة عملية النقل.

ذلك أن المشكلة تكمن في **أننا لا نُنتِج المعرفة ولا نتدخل**، من ثَمَّ، في **التعبير عن مخرجاتها** في مختلف أنواع العلوم والمعارف، ولذلك نحن مضطرون إلى ترجمة هذه المخرجات إلى لغتنا، فضلاً على حاجتنا إلى تطوير هذه اللغة للقيام بهذه الوظيفة الحيوية. ونحن مضطرون كذلك إلى معالجة مشكلة المصطلح الخاص بكل لون من ألوان المعرفة، وهذا العمل بحاجة إلى معرفة اللغتين - لغة المصدر و- لغة الهدف، ومعرفة الثقافتين - ثقافة المصدر وثقافة الهدف، ومعرفة الموضوع (أو الاختصاص) المُنتَج باللغة المصدر.

ومن هنا يُواجِهنا السؤال المُلِحّ: هل لدينا من الموارد البشرية ما يكفي للقيام بذلك؟

وهل نفعل بحق ما بوسعنا لتأهيل هذه الموارد للقيام بهذه المهمة؟

فحال اللغات الأجنبية في جامعاتنا، وقبلها في مدارسنا، حال بائسة؛ وحال اللغات الأجنبية وتدريسها بوصفها لغة موجَّهة لأغراض خاصة، خارج نطاق تفكيرنا. فما زلنا نظن، وبعض الظن ينطوي على إثم كبير، أن **اللغة المطلوبة في العلم هي لغة التسوق والسياحة**، وأنها مجرد أداة تُوظَّف في طلب العلم. وننسى أن المقصود بمقرر **"دراسات بلغة أجنبية"** الذي أدرجناه في سنوات الدرجة الجامعية الأولى، والسنوات التمهيدية في مرحلة الدراسات العليا، قد وُضِع في الحقيقة لتمكين الطالب من اللغة الأجنبية الموجّهة بغرض خاص محدَّد هو: **إتقانه لمصطلحها، وتعريفه بمكتبة اختصاصه في هذه اللغة حتى يعود إلى مظان بحوثه اللاحقة.**

والآن ما الذي يبقى للعامل الإنساني من دور في عملية الترجمة إذا ما كان الذكاء الاصطناعي قادراً على القيام بهذه المهمة على غاية ما يرام؟

تنبغي الإشارة بادئ ذي بدء إلى أن الإنسان هو مبدع أو صانع ما يُسمّى بالذكاء الاصطناعي، ومهما كان ذكاء هذا الأخير فإنه لا يمكن أن يتفوّق على

ذكاء مبدعه أو صانعه، فضلاً على أن الخالق الأول لهذا المبدع وصانعِ الذكاء الاصطناعي مأمور بطلب العلم، بل أُمِر أن يزداد علماً "وقل ربي زدني علماً". ولاريب أن مُضِيَّه في طلب هذه الزيادة هو ما أوصله إلى الذكاء الاصطناعي، الذي سيُطوّر باستمرار ويُوظَّف، من ثَمَّ، لخدمة الإنسان، خليفة الله على هذه الأرض.

لقد أجرى صاحب هذه السطور في السنتين الأخيرتين كثيراً من التجارب والاختبارات على مخرجات الذكاء الاصطناعي، التي دلّلت على أن قدراته محكومة بالمُدخلات التي يزوِّده بها الإنسان، وأن مخرجاته كانت باستمرار بحاجة إلى تَدخُّل هذا الأخير بغرض تقويم أدائه. أي إنها كانت باستمرار بحاجة إلى تدقيق ما يقدّمه من معلومات، أو ما يترجمه من نصوص. صحيح أن الذكاء الاصطناعي يصحح لاحقاً هذه المدخلات بما يتلقاه من نصح من جانب الإنسان، ولكنه يفعل ذلك استناداً إلى جهد بشري، وليس إلى جهده الخاص.

ولعل أبرز المسائل التي لا يمكن للذكاء الاصطناعي أن يُفتيَ فيها، أو على الأقل أن ينافس الإنسان في البت فيها، أو الحكم على دقتها، هي مسألة **"السياق" "Context"** بضروبه المختلفة: **السياق الفعلي، والسياق الثقافي، والسياق الإشاري. وهي لا يستطيع غير القارئ /الإنسان وحده أن يحدِّده بالدقة المطلوبة، ويحدِّد، من ثَمَّ، دلالة المفردة، أو التعبير، أو الجملة في النص المترجَم.**

النص والسياق

يشير ت. ك. سونغ T. K. Seung إلى أننا "عندما نفسر كلمة، أو جملة في نص مثلاً، فإننا نقوم بذلك فقط ضمن سياق لغة"(١)، وأن "معنى أي نص وتفسيره

---

(١) انظر:

T. K. Seung, ***Semiotics and Thematics in Hermeneutics*** (Columbia University Press, New York, 1982). P. 10.

يعتمدان على السياق"[1]. والواقع أن "كل نص ليس أكثر من لوحة غفل حتى يُفسر في سياق دلالة مناسب، وكل تحليل نصي يفترض مسبقاً سياقاً للدلالة والتوصيل"[2].

يقول روجر فاولر في كتابه ***النقد اللساني*** **(١٩٩٦)** إن أي إنشاء لغوي ما هو إلا:

"جماع العملية المعقدة للتفاعل اللغوي بين الناس الذين ينطقون بالنصوص ويفهمونها. ودراسة اللغة بوصفها إنشاء تتطلب، لذلك، التنبه إلى وجوه من البنية تتعلق بالمشاركين في عملية الاتصال؛ وإلى الأعمال التي يؤدونها في نطقهم للنصوص؛ وإلى السياقات التي يؤدى فيها الإنشاء. فجميع هذه العوامل فوق اللغوية تنعكس على نحو منظم في بنى الجمل (ومن ثَمَّ النصوص) التي ينطق بها المتحدثون... إن شكل اللغة يتطور استجابة لوظائف الإنشاء فيها. وذلك حتى يوفِّر وسيلة التعبير لجميع الأعمال الشخصية، والعلاقات المتبادَلة بين الناس، وصلات السياق التي تُمَرَّر عادة بوساطة الإنشاء"[3].

ومعنى هذا أن للنص المترجَم، أي نص، صلات مُركَّبة معقدة، متعددة المستويات، متنوعة الوجوه، بعدد من عناصر عملية التواصل التي تعدّ من أهم وظائف اللغة الطبيعية. وربما كان من أبرز هذه الصلات صلاته:

١ - بالنصوص الأخرى الماثلة فيها صراحةً أو ضمناً، بالقوة، أو بالفعل، وهو ما تتدبره دراسات التناص (Intertextuality)، والدراسات المقارنة.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١١.

(٣) انظر:

Roger Fowler, ***Linguistic Criticism***, Second Edition (Oxford University Press, Oxford, 1996), p. 86.

٢ - باللغة الطبيعية التي يستعملها الإنسان أداة له.

٣ - بِمُنتِج هذا النص أو مُرسِله.

٤ - بمتلقي النص أو مستهلِكه.

٥ - بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة التي يُنتَج فيها. وبشكل عام بجملة الظروف والشروط المختلفة التي تحكم إنتاجه.

والواقع أن هذه الصلات تُشكِّل، بالعلاقات التي تقيمها مع النص المترجَم، السياقَ الذي يتموضع فيه هذا النص، ويدين له بكل دلالاته. وبناء على هذا فالنص المترجَم محكوم بالسياق الذي ينتَج فيه، ودراسته ينبغي بالتأكيد أن تمر عبر بوابة سياقه. ولكن **ماذا نعني بالسياق الذي يحكم دلالة نص ما؟**

يمكن للمرء أن يميز على الأقل ثلاثة معان مفيدة للسياق هي:

١ - سياق النطق أو السياق الفعلي لإنتاج النص؛ أو (السياق الآني الفوري).

٢ - سياق الثقافة.

٣ - سياق الإشارة.

سياق النطق: أو سياق الإنتاج الفعلي للنص المترجم، أو السياق الآني له، والذي يشمل فيما يشمل عدة عناصر، هي:

١ - **الزمان والمكان** اللذان يؤدى فيهما. فالنص يمكن أن:

- يُنتَج ويُستقبَل في وقت واحد تقريباً ولكن في أماكن مختلفة، مثال ذلك البث الحي المباشر الإذاعي والتلفزيوني.
- يُنتَج ويُستقبَل في نقاط زمانية ومكانية مختلفة، ونجد ذلك غالباً في المراسلات الشفوية والكتابية والإلكترونية.
- ينتَج ويستقبَل في المكان والزمان نفسيهما، كالمحاضرة الجامعية.

٢- **أوضاع المشاركين أحدهم اتجاه الآخر.** فقد يكون المشاركون في عملتي إنتاج النص المترجَم واستهلاكه:

- محاضراً وجمهوراً من المتلقين في مؤتمر يُعنى بشأن من شؤون المجتمع على سبيل المثال.
- أو أستاذاً محاضراً وطلابه في الجامعة.
- أو شخصين يتحدثان على الهاتف، كما يحدث عندما يود مذيع نقل رأي خبير ما، في شأن من شؤون الحياة لمستمعي الإذاعة.
- أو مجموعة من المتحدثين المعنيين بأي موضوع من الموضوعات في جلسة ما.

٣- القناة الموظفة: وتتفاوت تبعاً للرسالة المبثوثة من حيث كونها كلاماً منطوقاً، أو كلاماً مكتوباً. وهي تشمل (الكتاب، وشريط التسجيل، وشريط الفيديو، والرسالة، وغيرها).

٤- الأماكن بوصفها مؤسسات اجتماعية، فالأماكن التي ينتَج فيها النص محكومة بأعراف ونظم ولوائح وقيم ومبادئ وتقاليد وقواعد تؤثر في عملتي الإنتاج والاستهلاك للنص المترجَم، وتشمل (قاعة المحاضرات، وغرفة الصف، وغرفة الجلوس).

٥- الأفراد بوصفهم ممثلين يؤدون أدواراً اجتماعية، تبعاً للوظائف المسندة إليهم والمستمدة من مواقعهم ضمن البنية الاجتماعية وتشمل (المدرس، والمحاضر، والباحث، والكاتب، والصحفي الناقد، وغيرهم).

سياق الثقافة: أو شبكة الأعراف الاجتماعية والاقتصادية مجتمعة، وجميع المؤسسات والأطر والصلات المعتادة، التي تشكل الثقافة عامة، ولا سيَّما ما تخلفه من أثر في سياقات نطق محددة، وما تؤثره في بنية الإنشاء الحادث ضمنها. فهي تشكِل

في الحقيقة الأرضية التي تستند إليها دلالات مفردات الحدث اللغوي، وتعابيره، وجمله، ومقاصده.

ومعنى هذا أن:

"لكل إنشاء **سياق ثقافة** محدداً، يمكن، بل يجب، دراسته بوصفه مؤثراً في البنية اللغوية للنصوص...، وبوصفه دليلاً لتفسيرها"(١).

سياق الإشارة: والمقصود به سياق موضوع النص، أو مادته، أو ميدانه المعرفي أو الفكري، وله دور مهم جدًّا في فهم النص المترجَم ومن ثَم نقله إلى لغة أخرى. ذلك أن النص المترجَم محكوم بإطار الإشارة (Frame of Reference) أو بالإطار المرجعي الذي يحكم دلالات المفردات والتعابير والمفاهيم والجمل الواردة فيه. فنحن عندما نتحدث عن الحب في مناقشة نص صوفي لجلال الدين الرومي، على سبيل المثال، يتناول فيه الخمرة، نفسر تناوله للخمرة على أنه تكرار لذكر الله، بغرض وصول المتصوف لمرحلة التوحّد مع الذات الإلهية، ومرجعيتنا في هذا السياق هي الحب الإلهي، أو الحب الصوفي، في حين أنَّ مرجعيتنا في قصيدة لعمر بن أبي ربيعة هي الحب الدنيوي، وليس الحب العذري إن كان حديثنا ينصرف إلى جميل بثينة.

---

(١) انظر:

Roger Fowler, ***Linguistic Criticism***, Second Edition (Oxford University Press, Oxford, 1996), p. 114.

وانظر كذلك كتاب هاليديه ورقية حسن عن الصلة الوثيقة ما بين سياق النطق وسياق الإشارة.

M. A. K. Halliday and Ruqaia Hasan, ***Language, Context, and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective*** (Oxford University Press, Oxford, 1989), p. 46.

وانظر أيضاً للمزيد من التفاصيل حول مفهوم السياق:

الدكتور عبد الله الغذامي والدكتور عبد النبي اصطيف، ***نقد ثقافي أم نقد أدبي؟*** (دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤) ص ص ١٣٠-١٤٧.

فالمقصود بسياق الإشارة إذن هو سياق موضوع النص، أو مادته أو ميدانه المعرفي، مضافاً إليها ما ينطوي عليه من نزعة إيديولوجية، أو ميل مذهبي، أو انتماء فكري. ذلك أن دلالات مفرداته غالباً ما تكون محكومة بموضوعه، فكلمة **"قاعدة"** في نص يتصل بالشؤون العسكرية تشير إلى شيء مختلف تماماً عما تشير إليه في نص يتصل بالنحو، أو في نص يتحدث عن تطور مجتمع معين كتبه مؤلف ماركسي النزعة، أو نص يتحدث عن آلة أو عن جهاز كهربائي.

وأخيراً فإنه إذا كانت الترجمة **إعادة إنتاج لفهم القارئ للنص، أو إعادة كتابة لهذا الفهم**، فإن القول الفصل في الحكم على دقة هذا الفهم هو الإنسان الذي لا يمكن لأي أداة آلية أن تحل محلّه في هذه المهمة. ومعنى هذا أن الترجمة، أيّ ترجمة، بحاجة إلى القدرة الإنسانية على التمييز التي تقوِّم صِحّة الترجمة ودقتها وسلامتها، ولا ننسى أن الترجمة إنما تُقاس بدقتها وسلامتها، وليس بسرعتها وضغط نفقاتها، وإلا فإنها تخسر وظيفتها الحيوية في أي مجتمع، أو في أي ظرف تُمارَس فيه، ولربما تُفضي إلى سوء فهم قد يحمل معه خلافاتٍ وصراعاتٍ وحروباً وكوارثَ على مختلف المستويات في الحياة الإنسانية. لقد بات البشر يسرفون أيما إسراف في اعتمادهم على الآلة، وينسون أن صانع هذه الآلة إنما هو الإنسان الذي علّمه الخالق ما لم يعلم.

* * *